1. **هوسرل إدموند- Husserl Edmund ( 1859-1938 )**
2. **حياته ومؤلفاته:** فيلسوف وعالم رياضيات وعالم نفس ومنطقي ألماني، ولد ببروسنيتز Prossnitz

في النمسا سنة 1859م ، واتجه إلى دراسة الرياضيات منذ البداية، ثم واصل دراستها في جامعة فيينا، غير أن لقاءه بفرانز برانتانو F.Berentanoجعله يتجه إلى دراسة الفلسفة. عين مساعدا مدرسا في جامعة هال Halle ثم أستاذا في جامعة قوتنقن Gotengenفي سنة 1901م، ثم انتقل إلى جامعة فرايبورغ Freiburgحتى سنة 1928م، حيث بعدها انشغل بالتأليف أكثر. وأسس لتيار فلسفي جديد هو الفينومينولوجيا، وهو تيار عقلاني أساسا ينطلق من التجربة المعيشة ويحاول أن يؤسس لماهية ظواهرها، كما انشغل هوسرل خاصة بمشكلة تشتت العلوم وحاول أن يعيد تأسيسها في الفلسفة كعلم شامل، وكذلك قضية تخليص المنطق من النزعة النفسية، هذا الى جانب اشكاليات التأسيس للفينومينولوجيا كعلم للمعرفة وكمنهج فلسفي لدراسة أي موضوع.

من **أهم مؤلفاته**: " فلسفة علم الحساب"، " أبحاث منطقية "، " أفكار من أجل ظاهريات محضة وفلسفة ظاهراتية"، " التأملات الديكارتية " " محاضرات في باريس "، " المنطق الصوري والمتعالي " " أزمة العلوم الأوربية والظاهريات المتعالية "، " التجربة والحكم."

1. **التأسيس لفينومينولوجيا هوسرل:**

**الفينومينولوجيا** كلمة مشتقة من (phenomenone ) اليونانية، أي ظاهرة، وتعني ما يظهر للإنسان، وهي كلمة مركبة من شطرين:phénomène أو ظاهرة و logie أي علم، فهي علم الظواهر. وفي الفلسفة العربية المعاصرة هي: الظاهراتية أو الظواهرية.

هي مدرسة فلسفية معاصرة تتناول الخبرة الحدسية المباشرة للظواهر المعطاة في الشعور وتنطلق منها لفهم ماهيتها. وهو يفهم الفينومينولوجيا كعلم للظواهر، ولما يظهر في التجربة المعيشة. بل هي دراسة للظواهر أو لجملة من الظواهر قصد تحديد ماهيتها. يقول هوسرل: " إن عملية إدراك الماهيات هو جوهر الفينومينولوجيا."

لم تأت الفينومينولوجيا عند هوسرل من فراغ، بل تضرب بجذورها في الفلسفة اليونانية والغربية الحديثة، حيث:

* استخدم إ.كانط E.Kantالفينومينولوجيا أو علم الظواهر للدلالة على "الشيء لذاته" أي الشيء كما يبدو للذات في التجربة، والذي يقبل المعرفة، في مقابل "الشيء في ذاته" أي الميتافيزيقا التي لا تقبل المعرفة، حيث يقع العقل في التناقضات والمعضلات التي لا مخرج منها. ، كما يستمد هوسرل من كانط فكرة التعالي الصوري التي تؤسس في النهاية لظواهر الوعي مما يكسب فينومينولوجيا هوسرل طابعها المثالي، ويجعلها في مواجهة الاختزال الوضعي لفكرة العلم الذي تعتبره نظرة ضيقة، إذ هو يحيل مفهوم العلم إلى تفسير الوقائع بالوقائع، ويجعل الفلسفة كلاما فارغا بلا معنى، بما أنها لا تقول شيئا عن تلك الوقائع، ويزداد مثل ذلك الاختزال مقتا لما يريد له أصحابه أن يكون رؤية للعالم، فتفسر كل الأشياء انطلاقا من ذلك المفهوم الضيق للعلم. يقول هوسرل:" إن كانت الفينومينولوجيا أو نقد المعرفة كما بين ذلك هذا التأمل بلا شك علما لا هم له دوما وبإزاء كل ضروب المعرفة وأشكالها غير التبيين( ofklaren) ، فإنه حينها لا يقدر أن يستخدم أي علم طبيعي، إنه لا يقدر أن يستند إلى نتائجه ولا إلى ما يضعه حول الوجود ."
* مع فريدريك هيغل F.heguel تتخذ الفينومينولوجيا معنى تجليات الروح أو الفكر المادية والواقعية قبل عودته إلى حالة الإطلاق والتجريد. وهذا يعطي لفلسفة هوسرل فكرة تعدد الفينومينولوجيا بتعدد موضوعاتها.

غير أن مصطلح الفينومينولوجيا إذا استخدم في الفلسفة قبل إ.هوسرل E.Husserl فإنه لا يحمل عنده نفس الدلالة السابقة، فقد أراد ردم الهوة التي وضعها كانط بين الشيء في ذاته والشيء لذاته بالتوحيد بين الشيء وماهيته، حيث ينتقل الوعي من معطياته المباشرة إلى إدراك ماهيتها الصورية. أما بالنسبة للفينومينولوجيا عند هيغل فإن هناك " خاصيتان لفينومينولوجيا الروح لا تمران عند هوسرل: المأساة والمنطق، المأساة التي تأخذ بخصوبة " السلب "، والمنطق الذي يعبر عن الربط الضروري بين أشكال الروح في تطور واحد " ففي الهيغلية سيطرة للفكرة المطلقة وللتاريخ حيث تخضع الوقائع الفردية لإرادتهما المطلقة، والعلم بالماهيات عقلي يتم بوسائط جدلية، حيث يلعب النفي ونفي النفي دورا أساسيا في بلوغها، بينما في فلسفة هوسرل، يفرض مفهوم القصدية البحث عن دلالة الأشياء في واقعها الحاضر، والعلم بماهيتها يتم بالحدس.

في فينومينولوجيا الروح يرجع العقل في تناوله لموضوعاته إلى أكثر أشكالها بساطة ثم يصعد منها إلى الأكثر تركيبا، أما في فينومينولوجيا هوسرل فإن قصدية الشعور تتجه إلى محاولة الإمساك بالدلالة الصورية النهائية لموضوعاتها، منتقلة من التجربة المعيشة إلى الماهية الصورية من خلال الرد الفينومينولوجي، مما يدل أن اليقين صوري أساسه البداهة العقلية.

* تأخذ الفينومينولوجيا الهوسرلية من فلسفة أرسطو ليس فقط الطابع الشمولي، بل معيار النظر إلى الحقيقة، وهو اعتبار الحقيقة في ماهية الأشياء الجوهرية العقلية.
* تنهل فلسفة هوسرل من الفلسفة الديكارتية بمحاولتها النظر للفلسفة كـ" علم للعلوم " والشجرة التي جذورها الميتافيزياء وجذعها الفيزياء وأغصانها بقية العلوم، فهي فلسفة شاملة يقينية تنتظم تحتها في انسجام منطقي وعقلي كل الجوانب العقلية والعلمية والإنسانية والاجتماعية.
* ترتبط الفينومينولوجيا أكثر فأكثر بالفلسفة الألمانية، فهي تستمد فكرتها الأساسية في القصدية من (برنتانو- Berentano ) أستاذ هوسرل، الذي ادعى أن الوعي الذاتي أو الشعور هو وعي قصدي، إنه يقصد إلى موضوعه، ويستحيل أن يكون ذك الوعي فارغا، فالوعي دائما هو وعي بشيء ما، ينطبق ذلك على كل أفعال الوعي من فكر واعتقاد وعاطفة وانفعال، حيث استثمر هوسرل هذه الفكرة وطورها إلى مستوى مذهب فلسفي. بل إن " شاب وكونراد مارتيوس شرعا بتحليل قصدي للإدراك، إدراك الأشياء، إدراك شيئية الأشياء وفروقية الوعي، شايلر بدأ بتحليل قصدي لإدراك الأنوات الأخرى أو أنوات الآخرين، إلى جانب اهتمامه بمشاعر التعاطف مع الآخرين، بفاندر اهتم بالنيات كظاهرة عنيوية قصدية تؤطر الفعل، كاتس عمل على أنحاء ظهور الألوان في الإدراك الحسي، لا يقوم على ظاهرات الوهم والانخداع الحسي. رايناخ دأب على وضع الأسس القبلية للقانون المدني بما فيه من عقد ونقض ووعد وإلخ..." وهذا يدل أن أفكارا مثل التمييز بين **بطونية الوعي**، أي وعي الذات بذاتها، **وفروقية الوعي**، أي وعي الذات بظواهر الوعي الخارجة عنها، وفكرة **القصدية** في الوعي والفعل، وفكرة **البينذاتية**، وفكرة **القبلية**، وهي من جملة الأفكار المؤسسة للفلسفة الفينومينولوجية لها أصولها في الفلسفة الألمانية.

**استنتاج:** إذن الفلسفة الظواهرية أو الفينومينولوجيا عند هوسرل لها أصولها الفلسفية القديمة والحديثة في الفلسفة الغربية، لكن علاقتها بهذه الأصول والمعارف الفلسفية هي علاقة جدلية.

**ج- فلسفته:**

الفلسفة عند هوسرل " هي الوحدة بين العلوم التي تقوم على أساس مطلق"، فقد أراد بالفلسفة التوحيد بين العلوم النظرية والتجريبية، وبما أن الفلسفة عنده هي الفينومينولوجيا**،** فإن هذا المصطلح يحمل دلالات متعددة، حيث يتكلم الباحثون عن أنواع منها: الفينومينولوجيا الوصفية، الفينومينولوجيا المتعالية، فينومينولوجيا الدلالة، الفينومينولوجيا التقومية، الفينومينولوجيا الجنيالوجية، ولكن سياق تطور فلسفة هوسرل هو الذي سيوضح لنا دلالة هذه المصطلحات أو المفاهيم في فلسفته: فقد بدأت الفينومينولوجيا بما يسميه هوسرل **علم النفس الفينومينولوجي** الذي أراده علما في مواجهة علم النفس التجريبي كما تتصوره المدرسة الانجليزية، فعلم النفس التجريبي يستند في نظره إلى الموقف الطبيعي الذي يرد الحياة النفسية إلى دوافع طبيعية جسمية أو بيئية، إنه بذلك يفقد الحياة الإنسانية دلالتها الإنسانية ويردها إلى ما هو مفارق لها بالطبيعة. لكن هوسرل لا يريد تجاوز علم النفس التجريبي تجاوزا نهائيا، فهو يريد من علم النفس الفينومينولوجي أن يكون مكملا لعلم النفس التجريبي، حيث إذا كان هذا الأخير يهتم في التجربة النفسية بالدوافع الطبيعية فإن الأول معني بدلالة المفاهيم التي تحكم تلك التجربة ووصف مقاصدها. وهذا يعني أن هوسرل ضد النزعة الطبيعية التي تكتفي برد الظواهر النفسية إلى عوامل حيوية وعضوية، وضد النزعة الوضعية التي تهتم بقوانين الظواهر النفسية وتهمل غاياتها ومقاصدها

المعنى الثاني **للفينومينولوجيا عند هوسرل كان منطقيا**، حيث البحث الفينومينولوجي ينصب على ما تتقوم به القضايا المنطقية، حيث كتابه " الأبحاث المنطقية " يهدف إلى وضع الماهية الأصلية النهائية للمنطق، وتجاوز النزعة النفسية التي ترد المنطق إلى شروط نفسية متأثرا في ذلك بنقد غوتلوب فريجه G. Frege للنزعة النفسية في المنطق في عصره.

المعنى الثالث للفينومينولوجيا نجده في كتابه " الفلسفة علما دقيقا"، حيث يتوسع مفهوم الفينومينولوجيا ليشمل كل مباحث الفلسفة، بما أنها **علم كلي شامل** متناسق الأبحاث ومتكامل، بهذا المعنى فهي علم قبلي( إيديتيك ) غرضه توضيح ووصف كل أشكال المعرفة ونقدها للوقوف على ماهيتها الأصلية، وفي هذا السياق يمكن التكلم عن **فينومينولوجيا وصفية** تخضع لمفاهيم القصدية والحدس المقولي ( ) ومفهوم القبلية، فالقصدية هي اتجاه الذات وتعلقها بموضوعها، بحيث يحصل تلازم لفعل الوعي مع موضوعه المقصود، وهذا يوضح تمييز هوسرل بين أفعال الوعي الذاتي من تذكر وتخيل وإدراك واعتقاد وبين مواضيع الوعي أو ظواهره الحاضرة فيه.

لكن الوحدة بين أفعال الوعي وظواهر الوعي هو ما يشكل الوحدة القصدية، فليس هناك فعل للوعي دون موضوعه، ولا موضوع دون فعل للوعي. إن الذات لا تملي أحكامها على موضوعها، بل تتشبع بدلالته وتكشف عن ماهيته ، بخلاف الاستبطان الذي هو معرفة الذات المباشرة لما يجري فيها من أحوال وإضفاء أحكامها وميولها الخاصة عليها، فالفينومينولوجي يسعى إلى تجاوز أحكامه المسبقة أو يعلقها سعيا وراء معرفة موضوعية بظواهر شعوره كما تعرض نفسها عليه.

إذن، فالقصدية تتجه إلى المعنى الذي يحدد حضور الشيء في الشعور، فما يقصد إليه الشعور ليس الشيء في حد ذاته بل مدلوله أو معناه، من هنا يمكن أن توصف الفينومينولوجيا أيضا بأنها فينومينولوجيا الدلالة لتتجاوز بذلك أي نزعة سيكولوجية.

ولكن القصدية قد ترتقي أيضا إلى مستوى إدراك العلاقات بين الأحكام وأنواع الخطاب، وفي هذه الحالة نصبح أمام **حدس مقولي** يختلف عن **الحدس الحسي** بطابعه العقلي الكلي، إذ هو يدرك في الشيء مفهومه العام، وهذا المفهوم العام ليس بالضرورة نتيجة لإستقراء جزئيات ذلك الشيء، بل قد يكون مدركا مباشرة في جزء واحد، مثلما ندرك " الإنسانية " في الإنسان الواحد، ومفهوم العلم في العلم الواحد، وبخلاف النزعة العقلية التي تجعل الإدراك مجرد مجموعة من الأحكام العقلية، والنزعة الحسية التي تجعله مجرد حزمة من الإحساسات الجزئية، توحد الفينومينولوجيا الوصفية بين ما هو عقلي وحسي في الإدراك، بين ما هو ذاتي في تجربة الوعي وما هو موضوعي، بحيث يخضع كل ذلك لعلاقة تضايف تخضع عند هوسرل إلى أربعة آفاق: الأفق الداخلي، الأفق الخارجي، الأفق الزمني، الأفق البينذاتي "

إن كل ذلك يضمن الانتقال من التجربة المعيشة البسيطة لعملية إدراك ظواهر الأشياء إلى الإمساك بماهياتها القصدية الموضوعية، هذه الموضوعية التي كان يراها هوسرل في معايير الكوجيطو الديكارتي: الجلاء والوضوح، الجلاء من حيث هو دلالة على حضور الشيء في الذهن، والوضوح من حيث هو قدرة على تمييز الشيء عما عداه من الأشياء الأخرى، كما كان يرى تلك الموضوعية في التمييز الأرسطي بين الصفات الضرورية للشيء التي تدل على ماهيته الجوهرية والصفات العرضية التي لا تدخل في تلك الماهية، وذلك ما يشكل مفهوم القبلية في التأسيس الموضوعي لماهية الأشياء، بحيث عملية الصدق تخضع لمراعاة مدى تطابق قصدية الحكم مع بنية الموضوع بما فيها من معطيات وأفق قبلية.

بيد أنه بدا لهوسرل أن هذا التأسيس لظواهر الأشياء في موضوعاتها لا يكفي، إذ يجب تأسيس هذه الماهية الموضوعية نفسها في الذات، ومن هنا بدأ التفكير في نوع آخر من الفينومينولوجيا هي **الفينومينولوجيا المتعالية أو الترانسندنتالية**، التي مهمتها تأسيس الموضوعية في الذات، أي البحث عن الأسس الذاتية لموضوعية الأشياء، فالذي يهم ليس الشيء الواقعي ليس تضايف الذات والموضوع، بل دلالة الشيء أو معناه في فعل التأمل الذاتي، لذلك فهي تبحث عن الشروط القبلية الذاتية لفعل الوضع والموضوعية بالرجوع إلى الذات المتعالية التي تؤسس لذلك، بما لها من إطلاق وفعالية وحضور تفسر حضور الأشياء نفسها ووجودها.

إذن، في الفينومينولوجيا الوصفية يتم التأسيس لموضوعية ظواهر الوعي بالكشف عن ماهيتها، وفي الفينومينولوجيا المتعالية تعلق الظاهرة كشيء مادي، وينظر إليها كماهية موضوعية عقلية مؤسسة في أفعال وعي الذات المتعالية، بحيث يغدو الموضوع ميدانا لفعالية الذات وحضورها، إلا أن هوسرل لم يكتف بهذا الرجوع إلى الذات المتعالية، فهذه الذات المتعالية المطلقة وقد تشبعت بمدركات خاصة معنية بالرجوع إلى العالم، وبالتالي إلى التجارب الحية والخاصة لترى ذاتها فيها، وتكشف عن فعاليتها، وتميز ما هو خاص بها وما هو غريب عنها، بحيث تنظر إليه إنطلاقا من تجربتها الخاصة. عند هذه النقطة نكون أمام **فينومينولوجيا تقومية أو تأسيسية** تؤسس لهوية الأنا المطلق في العالم وفي الأشياء، فهي فينومينولوجيا مدعوة " للعودة إلى الأشياء نفسها " بحيث ترد التجارب الحية الخاصة إلى تلك الهوية المطلقة الأصيلة، العودة إلى الأصل، ذلك ما يمكن أن نسميه فينومينولوجيا جينيالوجية بحسب تعبير ريكور أو أركيولوجية. ولكن الحقيقة أن هذا الوصف لا ينطبق على الفينومينولوجيا التقومية أو التأسيسية فحسب، بل هو سار أيضا على الفينومينولوجيا المتعالية والفينومينولوجيا الوصفية على السواء، لأن الوعي يرتد في كل منها إلى ما يعتبره هوية أصلية لموضوعاته حتى ينتهي إلى ما يتقوم به الأنا المطلق، وهذا يبرز الطابع المثالي لفلسفة هوسرل.

**د- المنهج الفينومينولوجي:**

إن " منهج الفينومينولوجيا يتعلق بالعودة الى الأشياء نفسها " هذا يعني أن الانتقال من الفينومينولوجيا الوصفية إلى الفينومينولوجيا المتعالية إلى الفينومينولوجيا التقومية هو انتقال من ظواهر الأشياء في الوعي الى الأشياء نفسها في الواقع، وهذا الانتقال يحتاج إلى منهج اجتهد هوسرل في وضع أسسه وصفاته، ومن المهم أن نشير إلى أهمها هنا:

فهو أولا **منهج حدسي**، أي يقوم على الإدراك المباشر لظواهر الوعي، فيراعي حضورها فيه وتميزها عما عداها، بل حدس يميز بين بطونية الوعي الذاتي وفروقية الوعي بشيئية الأشياء، ولذا فهو ليس فقط حدس حسي بل عقلي أيضا.

وثانيا، فإن هذا المنهج **وصفي**، يجتهد في وصف ظواهر الوعي ويميز بين ما هو أساسي فيها وما هو عرضي، ما هو ثابت وما هو متغير، وهو يتلون بطبيعة الفينومينولوجيا التي يطبق في سياقها، إذ يهتم في الفينومينولوجيا الوصفية بتحديد الصفات الموضوعية لظاهرة الوعي، بينما يركز في الفينومينولوجيا المتعالية بالبحث عن الصفات القبلية والبديهية الذاتية المؤسسة لتلك الماهيات الموضوعية للأشياء، أما الفينومينولوجيا التقومية فهي " العودة إلى وصف مجريات فاعلية الوعي في العالم، ومن الواضح أن هذه العودة إلى الوصف قد أصبحت مجهزة بمحصلات الفينومينولوجيا المتعالية وبداهاتها التأسيسية " إذن، هو وصف يطبق بداهات وخصائص الأنا المتعالية على التجارب الحية الخاصة.

ثالثا، **الرد الفينومينولوجي ( الاختزال )** هو إرجاع ظواهر الأشياء إلى أصولها ومبادئها، ولكن يميز فيه هوسرل بين نوعين: الرد الماهوي في الفينومينولوجيا الوصفية حيث يرجع الوعي الأشياء البسيطة والجزئية إلى ماهيتها الموضوعية التي تتقوم بها. والرد المتعالي أو الترانسندنتالي الذي يحاول تفسير تلك الماهيات الموضوعية وتبرير مشروعيتها بالبحث عن أسسها في الأنا المطلق.

رابعا: **تعليق الحكم** ( الايبوخية ) هو الامتناع عن إصدار الأحكام في فحصنا لماهيات الظواهر أو أسسها القبلية البديهية، ففي الفينومينولوجيا الوصفية يعلق الوعي كل الأحكام التي لا تتعلق بالماهية الموضوعية لظواهر الوعي بما فيها مؤثرات الذات وأحكامها المسبقة، ومؤثرات العوالم المحيطة بتلك الظواهر، فلا يبقى إلا فعل الوعي بموضوعه، وحضور الموضوع في فعل وعيه متضايفان في وحدة لا تنفصم. لكن التعليق على مستوى الفينومينولوجيا المتعالية مطالب بتعليق الطابع المادي للموضوع لبلوغ الأسس القبلية في الذات المتعالية التي تؤسس للموضوع و للتجربة الحية. أما التعليق في الفينومينولوجيا التقومية فينصب على تعليق الموضوع نفسه بغرض إبراز مفهوم خالص لبنية الأنا المطلق وتأكيد حضوره وفعاليته في الأشياء. تلك هي أهم الأسس المشكلة للمنهج الفينومينولوجي وهي أسس متكيفة مع طبيعة الفينومينولوجيا وأشكالها عند هوسرل، مما يؤكد التداخل بين المنهج والنظرية.

**ه- الفينومينولوجيا بين النظرية والمنهج:**

غير أن الفلاسفة اختلفوا حول ما إذا كانت الفينومينولوجيا تمثل مذهبا فلسفيا أو أنها مجرد منهج فلسفي، وفي هذا الشأن، هناك من يعتبرها نظرية فلسفية لأنها تعرض نفسها كعلم شامل يؤسس لموضوعاته في الأنا المطلق، مما يدل على طابعها المثالي الترانسندنتالي المماثل لمثالية كانط المتعالية، وهناك من يعتبرها مجرد منهج فلسفي يتدرج بالفكر من خلال الوصف والرد والاختزال أو التعليق من التجربة المعيشة إلى الماهيات الصورية للأشياء إلى تأسيس تلك الماهيات في الأنا المطلق. أما البعض الآخر، فإنه يذهب إلى أن الفينومينولوجيا نظرية فلسفية ومنهجا في نفس الآن، فهي نظرية مثالية وطريقة في التفكير في الأشياء مثل الفيلسوف الأمريكي مارفن فابر في كتابه: " الفينومينولوجيا كمنهج ومذهب فلسفي "، وربما يكون ريكور أقرب إلى الصواب عندما أكد أنها " بالنتيجة هي أقل من أن تكون مذهبا منها إلى أن تكون منهجا قادرا على التجسيد المتعدد، أين هوسرل لم يستغل إلا عدد قليل من إمكانياته " وهذا الميل إلى اعتبار الفينومينولوجيا منهجا أكثر مما هي نظرية قد أصبح متجسدا الآن في الفلسفة الغربية على أوسع نطاق، ففي الفلسفة الفرنسية مثلا لم يتم الحفاظ على الطابع المثالي لفلسفة هوسرل كثيرا، وميرلوبنتي الذي اشتهر باحترام الفينومينولوجيا كما هي، لم يبق سجين نظرية المعرفة والتأملات الفلسفية المجردة وظاهرة الادراك، بل وسع الفينومينولوجيا لظواهر السلوك ودراسة المعنى بشكل عام.

فقد كتب " فينومينولوجيا الادراك الحسي "، " بناء السلوك " " المعنى واللامعنى "، أما غابريال مارسيل، فقد تخلى عن مثالية هوسرل بمحاولته بناء فلسفة للممارسة والتجسيد، ولكنه كان يصف المنهج الفينومينولوجي بالعمق مقارنة بالمنهج البرغسوني.

ومن الأمريكيين المتأثرين بالفلسفة الفينومينولوجية " مارتن فابر" و" دوريون كيرنز" وغيرهم، الذين اتجهوا بتلك الفلسفة اتجاها واقعيا وعلميا وعمليا متجاوزين بذلك نظريتها المثالية محاولين توسيعها لقضايا الطبيعة والعلوم الانسانية.